ثم يرون أن لا عقاب على جريمة لأن المجرم عندهم مريض له حكم المرضى ، وهذه فلسفة تحتملها الأدمغة والكتب ، وهي تحول القلب إلى مصلحة الفرد ، وتصرفه عن مصلحة المجتمع ، فنبههم الله إلى ألبابهم دون عقولهم كأن يقرر لهم أن حقيقة العلم ليست بالعقل والرأى ، بل هي من قبل ذلك باللب والبصيرة ، وفلسفة اللب هذه هي آخر ما انتهت إليه فلسفة الدنيا »

« وانتهت الآية بقوله تعالى : (لعلكم تتقون) وهي كلمة من لغة كل زمن ، ومعناها في زمننا نحن يا أولى الألباب ، أنه برهان الحياة في حكمة القصاص نسوقه لكم ، لعلكم تتقون على الحياة الاجتماعية عاقبة خلافه ، فاجعلوا وجهتكم إلى وقاية المجتمع لا إلى وقاية الفرد »

هذا بعض ما قاله فقيد العربية الأستاذ الرافعي (رحمه الله وكافأه) ولما اطلع الأستاذ النشاشيبي على هذا المقال البليغ في (البلاغ) بعث إلى هذه الجريدة بكلمة عنوانها : (إنها مترجمة) نشرتها في ١٩ من رجب ١٣٥٢ بعد مقدمة منها ، ومما جاء في تلك الكلمة : « قال الأديب الكبير الأستاذ مصطفى صادق الرافعي في رده في (البلاغ) على[1] كاتب في (الكوكب) : (إن القتل أنفى للقتل مولدة وأنها مأخوذة من آية) ومعاذ الله أن تكون مولدة ، وأن تكون قد أخذت من آية ، ولو كان ذلك لوجدنا عليها مسحة[2] — وإن قلت — من الجمال القرآني وها هي ذي ، كما يراها رائيها ، لا تكلف أحداً في البشاعة وصفها فهي ليست بعربية ولا بمولدة ، ولم تبصر في يوم ضياء القرآن ، بل هي مترجمة ، وربما أخطأ الناقل في الترجمة »

(للقصة بقية)

* * *

(١) في القاموس واللسان : رد عليه : خطأه بالتشديد ، وللامام الجاحظ كتاب الرد على النصارى . وقد سمعت بعض الفضلاء يقول : لا يقال رد عليه بل رده ! وفي مقدمة (الكشاف) : ورد ورد عليه

(٢) على وجهه مسحة ملك ومسحة جمال أي أثر ظاهر منه ، ولا يقال ذلك إلا في المدح (النهاية) الأزهري : العرب تقول : به مسحة من هزال وبه مسحة من سمن وجمال (اللسان)

العدد الممتاز

أعدنا طبع العدد ٢٤٦ وهو العدد الهجري الممتاز فمن أراد اقتناءه فليطلبه من إدارة الرسالة بالسعر العادي وهو عشرة مليمات غير أجرة البريد

١٠٥٦٤

فلسفة التربية

تطبيقات على التربية في مصر

للأستاذ محمد حسن ظاظا

— ٢١ —

« يجب أن تكون المدرسة صورة مصغرة للمجتمع المنشود »

« *** »

« الديمقراطية هي النظام الذي يمكن الجميع من تحقيق أقصى مجهوداتهم » « بأستور »

« يجب أن تكون أعمال الفرد في الجماعة الديمقراطية شائقة جذابة » « وولف »

١١ — سبيل الاصلاح

واليوم ماذا أقول ؟ لقد عرضت عليك فيما مضى صورة واضحة لشخصية خريج معاهدنا بما فيها من عقل وعاطفة وجسم ، وبينت لك أن هذه الشخصية لا تتفق وروح التربية الحديثة في أقل القليل ، ولا تصلح لأن تحقق آمال الوطن في صون الاستقلال وتزعم الشرق وإحياء المجد القديم ! فلم يبق اليوم إلا أن أسير معك إلى طريق الاصلاح علنا نصيب هنالك شيئا :

١ — مجلس أعلى للتربية والتعليم

وكثيراً ما تناولت الصحف أمر هذا المجلس بالحديث ، ولكن قليلا ما عنيت الحكومة به وأخرجته إلى حيز الوجود ! وأنت لا تكاد تجد دولة راقية بغير هذا المجلس الخطير ، ولا تستطيع أن تتصور اتزاناً واستقراراً في ناحية البرامج المدرسية إلا إذا كان مصدر هذه البرامج لجنة فنية راقية ثابتة تمثل جميع الهيئات المتصلة بنواحي التعليم كالمدرسين والنظار ، وعمداء الكليات ورؤساء النقابات ، ورجال الأعمال وزعماء الأحزاب والأديان ؛ فإذا ما أوجدنا مثل هذا المجلس أمكننا أن نوفق بين تجارب المدرسين والنظار ورؤساء الأعمال ، وبين الخطط الدراسية والمناهج التعليمية وحاجات البلاد ، وبذلك تكون لدينا غاية معلومة لها فلسفتها الخاصة ، وخطة مرسومة توصل إلى هذه

الغاية ، واستقرار دائم يساعد على إحكام التجارب ويغذى مختلف النواحى بما يحقق نجاحها المنشود ! أما الاقتصار على عدة لجان تمحو اليوم ما قررته بالأمس ، وتسير بالسياسة العامة للتربية على غير هدى من التجارب الكافية أو الغايات الاجتماعية والاقتصادية والفنية المختلفة ، فذلك كما ترى فصل بين المدارس والمجتمع ، وإغفال لأسس وطيدة لا سبيل إلى النجاح والاستقرار بدونها

فترى هل يعمل معالى الوزير الحالى على تكوين هذا المجلس بعد أن توانى فى تكوينه الوزراء السابقون ؟ أملنا فى معاليه كبير!

٢ — قضية المعلمين

وأحسب أن أول ما يجب أن ينظر فيه هذا المجلس هو قضية المعلمين . وذلك أنك قد علمت فيما مضي أنهم اليد العاملة فى تكوين النشء الموهوبين ، وأن عدم التدقيق فى اختيارهم ، وعدم إنصافهم فى أجورهم وترقياتهم وأعمالهم ، كل ذلك قد جعلهم متذمرين من مهنتهم ، ناقمين على القدر الذى ابتلاهم بها ، مؤدين لها أداء ناقصاً مشوهاً لا يكاد يتفق فى الكثير من الأحيان مع تلك الأصول النظرية العامة التى درسوها فى مدارس المعلمين ومعاهد التربية ! لذلك يجب أن تعمل الدولة على مساواتهم بطوائف القضاة والأطباء والمهندسين ؛ ويجب أن تقلل جهد المستطاع من عملهم الشاق المسير ؛ ويجب أن تحذف من حياتهم تلك الأعمال الكتابية الآلية التى تعطرهم بها إدارة المدرسة مراراً أثناء العام الواحد ! ، ويجب أن تشركهم إشراكا فعلياً فى وضع المناهج واختيار الكتب ، ويجب أخيراً أن تصغى لاقتراحاتهم كما تصغى لرجال الطب أو القانون !

أما المعلمون فيجب أن يتحدوا وينظموا أنفسهم تنظيما يعلي من شأنهم الأدبى والمادى ويرفع من قدر مهنتهم فى عين الحكومة والشعب ، كما يجب أن يحرصوا دائماً على التحلى بتلك « الشخصية الفنية » التى تنشدها الحياة الحديثة منهم كمثقفين بوجه عام وكمربين على وجه الخصوص !

٣ — مكافحة الأمية وتعميم التعليم الالزامى

ويلى ذلك فى الخطورة أو يعادله مكافحة الأمية وتعميم التعليم الالزامى مادمنا ننشد نهضة حقيقية قوامها الحياة الديمقراطية الصحيحة . ذلك أنه لاسبيل مطلقاً إلى الرقى المنشود إلا إذا تبدد ظلام الجهل وغدا الشعب مستنير العقل قوى الخلق مفتحة أمام ذكائه أبواب النشاط دون ما فارق بين غنى وفقير ! ، وإذا كانت الحكومة قد بدأت تفكر جدياً فى مكافحة الأمية فإن التعليم الالزامى ما يزال فى حاجة قصوى إلى الدعاية والمرونة والتعديل والاصلاح على النحو الذى بسطناه من قبل عندما كنا نوجز آراء الدكتور جاكسون فى الموضوع

٤ — التعليم الحر

ولما كان التعليم الحر يقوم بنفس الوظيفة التى تقوم بها مدارس الحكومة فان العناية به ، والتدقيق فى الاشراف على رجاله ، والامساك عن صرف الاعانات للذين يستطيعون أن يستغنوا عنها تماماً بمصروفات التلاميذ ، أو للذين لا يستحقون منها شيئاً لأنهم محتالون أو شبه محتالين ! ثم الحرص على تسليحه بالمدرس الفنى الكفء عن طريق إعداد أكبر عدد من المدرسين فى معهد التربية بأقصى ما يمكن من السرعة ، كل ذلك يجب أن تحققه الحكومة فى القريب العاجل حتى لا يكون هنالك وجود لمدارس تسيطر عليها الفوضى ويشيع فيها الحشو التافه والاعداد السقيم !

٥ — توحيد الثقافة :

ولما كان تباعد العقليات فى أبناء الأمة الواحدة يقسم الشعب إلى قسمين ويعرقل بذلك عملية الاصلاح والتجديد ، فالواجب هو المبادرة بتوحيد الثقافة على قدر المستطاع كيما يكون التفكير متحدا والقلب مشتركا والتقدم متجانسا لا تخلف فيه ! على أنه يجب أن نحرص فى ذلك التوحيد على طابعنا المصرى دون أن نتعسف فى الجرى وراء كل جديد أو فى التمسك بكل قديم !!

٦ — خطة الدراسة :

أما خطة الدراسة ذاتها فيجب أن تتغير وتتطور حسبما تتطلب النتائج الباهرة التى تمخضت عنها طرق التربية الحديثة كطريقة « المشروعات » أو طريقة « دالتن » ؛ وقوام الطريقة الأولى هو جعل الدراسة عملية تجريبية ترتبط فيها المواد ارتباطا معقولا ، ويقوم الطلبة بدراستها كما لو كانوا يتعاونون معا فى دراسة مشروع

ما تحت إرشاد مرب حكيم ؛ وقوام الطريقة الثانية هو الاعتراف « بفردية » الناشىء وتعويده على الدراسة الشخصية ، وفتح المجال أمام ملكاته وقواه كيما يسير في طريقه الخاص مستنيرا بإرشاد صديق قدير هو الأستاذ العزيز !! هذا إلى أنه ينبغي كذلك أن نحرص على دراسة ميول الطلبة وعلى توجيههم توجيها سليما بفحص ذكائهم، وكشف استعداداتهم ، وإسداء مختلف النصح لهم ولذويهم كيما يدرسوا وينبغوا ويوفقوا في حياتهم الخاصة والعامة توفيقا سعيدا ؛ أما حشد الطلبة في الفصول دون التفريق بين ذكيهم وغبيهم ، وشبههم جميعا في قالب واحد تنمحى فيه شخصياتهم ، وتيسير العلم لهم وحشوه في أدمغتهم على نحو يشل فكرهم ويميت حماسهم وشعورهم، ثم جعل نظام المدرسة بعد هذا آليا لا وجود فيه للواجب والمسئولية والديمقراطية ، فذلك كما ترى أسوأ ما يمكن أن يتصور في هذه الأيام التي تقدمت فيها بحوث التربية وعلم النفس تقدما عظيما ، والتي يدوي فيها صوت رجال التربية والاجتماع بضرورة جعل المدرسة صورة مصغرة للمجتمع البشري في تطوره وتجدده وعلاقات أفراده بعضهم ببعض وبالدولة !

٧ — مراعاة حاجات البلاد :

وينبغي بعد هذا أن نعمل على مراعاة حاجة البلاد من الخريجين في مختلف نواحي النشاط المختلفة حتى لا نقع فيما نحن فيه الآن من أزمة المتعلمين العاطلين . وذلك بتحديد عدد المقبولين في المدارس الفنية المختلفة حسبما تتطلب الحاجة المستنيرة بحقائق الإحصاء الماضي والحاضر ، وحسبما تدل دراسة ميول المتقدمين الحقيقية واستعداداتهم . أما ترك الأمر فوضى وقبول الطلبة في كليات الطب والعلوم والزراعة والتجارة تبعا لارتفاع « مجموعهم » أو انخفاضه فذلك كما ترى السبب في قلة التبريز عندنا وكثرة العاطلين .

٨ — الامتحانات

ويبقى أيضا أن نغير نظام الامتحان عندنا تغييرا شديدا لأنه بصورته الحالية لا يدل على كفاية الطالب العقلية فضلا عن الخلقية والذوقية ، ولا يفعل أكثر من تحويل نظام الدراسة إلى عملية « حشو » هائلة لا نظام فيها ولا هضم ! وحسبك أن ترجع لأقوال العلماء الكثيرين في ذلك الموضوع لترضى بما أقول ، وحسبك أن تقرأ اقتراحاتهم بشأن هذا التغيير لتعتقد أنه ينبغي لنا أن نهدمه هدما !

٩ — تشجيع الخريجين

ثم لا نستطيع أن نختم القول دون الإشارة إلى وجوب تشجيع الخريجين على الحياة العلمية والعملية بتقديم الأعمال التي تساعدهم على تلك الحياة كما قد بسطت ذلك بإسهاب من قبل

١٠ — التربية الخلقية والدينية

كما لا نستطيع أن نختمه دون التنبيه على وجوب جعل التربية الخلقية والدينية أساسية ولا سيما في مرحلتي التعليم الابتدائي والثانوي . وسبيل ذلك هو إدخال الدين في الدراسة إلى جانب الأخلاق وجعل التقدير الخلقي جوهريا في النجاح أو الرسوب لا مجرد شكليات وقشور !

١١ — التاريخ والجغرافيا

وأخيرا ينبغي أن نعنى في الثقافة العامة بجعل تاريخ مصر وجغرافيتها محورا لتاريخ العالم وجغرافيته . كما ينبغي أن نعنى بإبراز أجمل عصورنا إبرازا تاما ، وبتكوين العاطفة الوطنية المتأججة في قلوب النشء كيما نجد « رجالا » يعيشون من أجل الوطن وفي سبيله يموتون ! !(١)

* * *

وبعد فتلك نظرة عاجلة في فلسفة التربية النظرية والعملية قد طبقتها على تربيتنا تطبيقا سريعا حال وقتي الضيق دون توفية حقه من البحث والتفصيل ، فلعلي قد وُفقت ولو إلى حد التنبيه فحسب ! ولعلك قد استطعت أن تلحظ مجمل نزعتي العامة من هذا المقال ومن المقالات الكثيرة التي سبقته ، ثم لعلك قد سئمت هذه الدائرة وتريد مني دائرة أخرى ، فإلى اللقاء إذا حيث أحدثك عن شيء آخر ، ولك و « للرسالة الغراء » وافر الشكر وعاطر التحية

محمد عيسى ظاظا

(١) والحق أن طرق التربية الحديثة قد تناولت بالتعديل طريقة العرض والتدريس في كل مادة مما لا يتسع الوقت لذكره

ولا يخفى بعد هذا وجوب عنايتنا بالتربية الرياضية السليمة ووجوب إعدادنا بالتعليم الحربي لنظام الجيش